

مراجعة كتاب

قراءة في كتاب: اللغة العربية في إسرائيل- سياقات وتحديات للبروفيسور محمد أمارة

د. عبدالرحمن مرعي
الكلية الأكاديمية - بيت بيرل

لديهم الوعي بالمحافظة على لغتهم وتراثهم، ويرسّخ في ذهنهم عدم التفريط بهما.

وحول الشمولية التي ميّزت هذا الكتاب، يستحضرني في هذا المقام، الإشارة إلى المؤتمر الذي شاركت فيه مؤخراً، والذي عُقد بجامعة تل- أبيب في شهر مارس 2011 تحت عنوان "مكانة اللغة العربية في إسرائيل: سياسة لغوية، لغة وهوية". الموضوعات التي تحدّث عنها المشاركون كانت كالآتي: لغة الأقلية والسياسة اللغوية: حالة اللغة العربية في إسرائيل؛ العربية لغة الأقلية؟ المشهد اللغوي أنموذجاً؛ تعليم اللغة العربية للناطقين باللغة العبرية: ماذا تعلمنا حتى الآن؟؛ الشباب العرب في إسرائيل: هوية عربية ولغة عبرية؟؛ مجمع اللغة العربية في إسرائيل: الوضع الراهن وتحديات المستقبل؛ الطلاب الجامعيون العرب وعائق اللغة العبرية: تأملات في التجربة الشخصية والجماعية. هذه الموضوعات عالجها أمارة بإسهاب في كتابه، فالكتاب كان بمثابة الغائب الحاضر الذي تفتياً بظلاله المشاركون في المؤتمر.

والجديد في الكتاب تمثّل بتسليط الضوء على الإشكالات العالقة التي تجابه العربية والناطقين بها في إسرائيل، وتقديم طروحات عينية للتغلب عليها. واقع اللغة العربية في إسرائيل ومكانتها يختلف عن تواجد العربية في أماكن أخرى في هذا العالم. فهي لغة تقع في دائرة الصراع، وتحاول الأكثرية الهيمنة عليها وعلى

صدر في العام 2010 عن دراسات - المركز العربي للحقوق والسياسات ودار الهدى ودار الفكر كتاب "اللغة العربية في إسرائيل- سياقات وتحديات" للمؤلف بروفيسور محمد أمارة. أنهى أمارة تعليمه الأكاديمي في قسم اللسانيات الاجتماعية باللغة الانجليزية، وله العديد من الدراسات التي تناولت هذا المجال باللغات الثلاث: العربية والعبرية والإنجليزية. بالرغم من أن تخصصه لم يكن بالأساس في موضوع اللغة العربية، إلا أنها تبوّأت صدارة دراساته وتربّعت على عرش أجدته البحثية.

يأتي هذا الكتاب تنويحاً لثمرة جهود بذلها المؤلف امتدّت على مدى ربع قرن من الزمن واكبت الأبحاث العصرية التي خاضت غمار مسألة اللغة لا سيما اللغة العربية، في أماكن شتى في هذا العالم، وكيفية التعامل معها في المجالين التطبيقي والنظري بشكل عام.

يضمّ الكتاب ثمانية عشر فصلاً مبنوّة في ستة أبواب عاينت القضايا التي تعاني منها اللغة العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى التطرّق لموضوعات هامّة أغفلها الباحثون في دراساتهم. الكتاب غني بالمضامين والرؤى، ويشكّل رافعة للدارسين والباحثين والأكاديميين، كمرجع علمي هام. فهو يوسّع آفاقهم ويلهمهم في استنباط أفكار خلاقة لم تطرح من قبل، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، يثري الكتاب شريحة واسعة من القراء ممن يرغبون بتوسيع ثقافتهم العامة، وينمي



الناطقين بها.

الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان، وفي السابق جنوب لبنان وشمالي سيناء، يشكّلون ثلث الناطقين بهذه اللغة. وهنا ثمة وضع لا مثيل له في العالم، لمجموعة من المتحدثين يقعون في صراع مع لغة دولة يتقنون التحدّث بها، تختلف عنهم دينياً وثقافياً وأيدولوجياً.

لقد أدرك أمانة أهمية أثر العبرية وإسقاطاتها على العربية، واعتبرها من أكثر التحدّيات التي تواجه العربية في إسرائيل، وكرّس لها ربع الكتاب تقريباً. وانعكس ذلك في مناحي الأدلجة، تعلم العبرية ومناهج التدريس للتلاميذ العرب في المؤسسات التعليمية، استعارة مفردات من العبرية في المجالات الحياتية المختلفة مع طرح الأمثلة، عبرة المسميات والمشهد اللغوي.

هذه الموضوعات التي سعت المؤسسة الإسرائيلية إلى دعمها وتعزيزها لها وجهان: الوجه المكشوف - والذي يهدف إلى إتقان العبرية وتذويتها على حساب لغة الأم العربية، فالكثير من الشباب والأكاديميين العرب يجدون صعوبة بالتعبير عن ذاتهم بالعربية، ويلجأون إلى العبرية بدلاً من المجابهة؛ والوجه المستور - طمس معالم العبرية تاريخياً وحضارياً، فالأجيال الناشئة لا تعرف المواقع الجغرافية العربية المحفورة في ذاكرة الأجداد، ولا تدرك ما حصل للقرى المهجرة، التي أقيمت على أنقاضها المستوطنات والبلدات اليهودية تحت مسميات عبرية. بل أكثر من ذلك، سنّت الكنيست مؤخراً مشروع "قانون النكبة" والذي يحظر على المؤسسات العربية مثل، المسارح والمدارس والمراكز الثقافية، إحياء ذكرى النكبة. هذا القانون وغيره يصبّ في خانة مسح الذاكرة التاريخية.

والقسم الأخير من الكتاب (الباب السادس)، الذي يعادل ثلث الكتاب، ناقش بإسهاب مسألة تحديات اللغة العربية، والنظرة إليها من قبل المواطنين العرب أنفسهم، وحاول الإجابة عن السؤال ماذا فعل العرب من أجل لغتهم؟ وتمحورت الإجابة في ثلاثة محاور:

المحور الأول - فحص الأيديولوجيات اللغوية في الدراسات ومدى إدراك الأحزاب العربية السياسية والدينية والجمعيات الأهلية مفصلية موضوع اللغة العربية. يُشار إلى أنّ الأحزاب العربية لم تول اهتماماً خاصاً للغة العربية إلا في الآونة الأخيرة، ما عدا الحزب الشيوعي، الذي كان له دوراً ريادياً في هذا المجال منذ البداية، من خلال صحيفة "الاتحاد" ومجلة "الجديد".

والمحور الثاني - المجامع اللغوية، لقد سعى العرب إلى إنشاء مجمع لغوي، وفي نهاية المطاف تم إنشاء مجمعين: مجمع

العربية معترف بها كلغة رسمية في الدولة إلى جانب اللغة العبرية، لغة الأكثرية السكانية. ولكن على أرض الواقع، فإنّ هذا الاعتراف صوري لا يمنح العربية المكانة الرسمية، فالعربية مهمّشة لدى الوسط اليهودي، ويرفض غالبية اليهود تعلّمها أو التحدّث بها. إنّ الحقوق الشرعية التي تكتسبها العربية تُنتزع عنوة من خلال القضاء الإسرائيلي (محكمة العدل العليا)، الذي ينصف أحياناً العربية ويدافع عنها من غبن السلطة والمؤسسات.

المواطنون العرب هم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وتشكّل اللغة العربية لغة الدين والحضارة والتراث بالنسبة لهم. فالمسائل العامة التي تتحدّى العربية كالازدواجية اللغوية، واللهجات واللغات الدارجة منتشرة لدى جميع الناطقين بالعربية دون استثناء، وهذا بدوره يثقل سيرورة إتقان اللغة والتحدّث بها بطلاقة. يضاف إلى هذا الإشكال، تأثير اللغات الأجنبية على العربية في الدول التي وقعت في الماضي غير البعيد تحت سيطرة الاحتلال أو الاستعمار.

ففي المشرق العربي، ثمة حضور للغة الانجليزية عامة والفرنسية في لبنان خاصة. أمّا في المغرب العربي فإنّ الوضع أصعب، إذ استحوذت اللغة الفرنسية على المواطنين في الماضي، فالكثير من كبار السن يتقنون الفرنسية، ولا يستطيعون التحدّث بالعربية، وما زال تأثيرها على الأجيال الناشئة "المتفرنسين".

من الطبيعي أن يحصل تداخل لغوي لدى التواصل بين الأغلبية والأكثرية في الدولة. إلا أنّ وضع اللغة العربية في إسرائيل لا يتمثل فقط في الدخيل اللغوي، بل يتعداه ليشمل الجانب الهويتي والثقافي والرمزي. اللغة العبرية كانت جزءاً من المشروع الصهيوني، هذا المشروع الذي ربط بين الأرض والإنسان والقومية. واستمدت الدولة مشروعيتها من هذا المنحى، وتدعو اليوم، وبقوّة، إلى الاعتراف بيهودية الدولة، لتهميش الأقلية العربية بشكل مطلق. ممّا لا شك فيه أنّ هذا التوجّه سيزيد الطين بلة فيما يتصل مكانة اللغة العربية، فمنذ إنشاء الدولة وحتى اليوم، قدّم الكثير من أعضاء الكنيست اقتراحات تدعو إلى شطب العربية كلغة رسمية في الدولة، والإبقاء على العبرية كلغة رسمية وحيدة.

العبرية هي لغة محدودة بمفرداتها وبعدها الناطقين بها، وإنّ عدد العرب الذين يتحدّثون هذه اللغة في إسرائيل وفي الضفة

اللغة العربية الرسمي ومقره في حيفا، ومجمع القاسمي للغة العربية وآدابها ومقره في باقة الغربية. ويدعي المؤلف أن دور المجامع العربية عامة محدود في التحديث اللغوي، وفي الحالة الإسرائيلية فهي أكثر محدودة، ولا تتعدى كونها مراكز أبحاث.

أما المحور الثالث - موقع اللغة العربية في وثائق التصورات المستقبلية، حيث ركزت الوثائق على الحق اللغوي كحق جماعي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل، ومن الأهمية بمكان المحافظة على العربية ليس فقط من الناحية الأدائية، بل أيضاً من الناحية الرمزية والسياسية والدستورية والحقوقية.

ويختتم المؤلف الكتاب بإجمال التحديات الأساسية التي تواجه العربية في إسرائيل ووضع إطار نظري لمواجهة هذه التحديات. ويؤكد على ضرورة الاهتمام باللغة العربية لدى المواطنين العرب وعدم الاستهانة بها، كونها لغة الذاكرة الجماعية والهوية القومية. ويخلص إلى القول بأن محافظتنا على العربية كلغة قومية يؤمن لنا البقاء في هذه الديار، مهما تقلبت علينا الحوادث والأزمان. ولا يتحقق ذلك إلا من خلال بناء مشاريع طموحة مدعومة بإستراتيجيات وآليات، تسعى إلى بناء بيئة لغوية، تأخذ العربية الفصحى حيزاً في البيت والمدرسة والمؤسسات الأكاديمية.

